عندما يرحل الأعلام

بقلم: الأستاذ الدكتور تاج محمد، عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة ابن خلدون تيارت

"لقد تزامن إعداد المجلة مع متاعب نهاية السنة الجامعية، وكذلك وفاة الأستاذ الشيخ الأطرش السنوسي. ويتزامن صدور هذا العدد مع الذكرى السنوية الأولى لرحيل الأستاذ الباحث سليمان بهلولي تغمد الله الجميع برحمته الواسعة"[1].

في الصفحة الموالية من المجلة حملت أسماء المفقودين في تلك الأيام وكانت بعنوان:

إلى أرواح شهداء العلم والمعرفة.

الأستاذ الدكتور محمد المنوني، أستاذ التاريخ بجامعة محمد الخامس – الرباط.

الدكتور التاج بوشيخاوي، مدير معهد علوم الارض بجامعة وهران.

الأستاذ سليمان بهلولي، أستاذ التاريخ بالمركز الجامعي بمعسكر.

الأستاذ الشيخ أحمد الأطرش السنوسي، رئيس لجنة الافتاء لولاية وهران.[2]

لقد أبّن الدكتور بوعلام بلقاسمي هؤلاء الأعلام في مجلة عصور، وعبرت أسرة المخبر الذي كان يرأسه أن الجزائر ودّعت علما من أعلامها البارزين، وطودا من أطوادها الشامخين إلى مثواه الأخير في مقبرة عين البيضاء. وكان التشييع الجماهيري المهيب الذي شارك فيه آلاف المواطنين دليل على الوفاء والحب والتقدير والاحترام الكبير الذي تكنّه وهران المؤمنة لعالمها الجليل.

ولم يكن سي بوعلام بلقاسمي يدري أنّ تأبينه سيكون بعد بضع سنين، سيمشي الناس في جنازته ويودعه طلبته. فهو كذلك علَمٌ من أعلام الجزائر، وواحد ممّن كان لهم شرف التأسيس للدرس التاريخي في الجزائر.

1- بلقاسمي بوعلام: كلمة رئيس التحرير مجلة عصور، فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، العدد 03، جوان 2003، ص: 7.

2- مجلة عصور، ص: 8 .

برحيل الأستاذ الدكتور بوعلام بلقاسمي؛ تكون الجزائر قد فقدت واحدا من الجيل الذهبي الذين رافقوا المدرسة التاريخية الجزائرية منذ أن كانت بدايتها في القرن العشرين.

عندما أنجز محمد الميلي كتابه المعنون بـ "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" دعا الشيخ عبد الحميد بن باديس، الأستاذ محمد الميلي لتسمية كتابه هذا ب "حياة الجزائر"، ولعل هذه الدعوة نابعة من إدراك أن مستوى الكتابة التاريخية لدى المؤرخ الجزائري قد بلغت مستوى هاما من الجدية في الطرح و المعالجة والتحليل.

وقد جاءت هذه المدرسة لترافق تشكيل الشخصية الجزائرية، التي سعى الاستعمار الفرنسي ليمحوها ويزيل تواجدها عبر التاريخ. ثم توالت المحاولات والتي منها عمل الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي رحمة الله عليه الموسوم بـ "تاريخ الجزائر العام" ليؤكد فكرة الشخصية الجزائرية المستقلة ذات الأبعاد المختلفة عن الاستعمار الفرنسي.

ثم توالت الأعمال جامعة تارة، ومحللة تارة أخرى، لكل ما يمتّ بصلة إلى الجزائر معتمدة في ذلك على التراكمية الفكرية التي حدثت عبر تاريخ الجزائر.

لقد كشفت ملاحظات الأستاذ الدكتور بوعلام بلقاسمي التي كان يبديها وهو يتناول أي موضوع من المواضيع على طاقة كبيرة في الفهم، وقدرة على التحليل، وبراعة في المقابلة عند التناول. كما أنّ تمكّنه من اللغة الفرنسية و الإنجليزية، بالإضافة إلى العربية ساعده على تعميق الفكرة وجعلها في منتهى الدقّة، وقريبة من الحقيقة التاريخية التي ننشدها.